Lundi — 15 — 8 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

cm Année No. 767

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخر
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكرات البوسبة :

قصة فتـــاة ..

— ٤ —

يوم الخميس ١٠ مايو سنة ١٩٤٥

كانت الساعة خمساً بالتمام حين دخلت محلّى جروبى الجديد أبحث عن الآنسة (س) ؛ وكانت العلامة التى سأتعرفها بها أن أجد نسخة من (الرسالة) على المنضدة التى تجلس إليها . ولكن ماذا أصنع والناس قد قروا من وهج الحر فى قلب المكان فتكوفوا حول الموائد فى حواشيه وهوامشه فلا يجد المار طريقه بين القاعد إلا بصعوبة ، والبيع الزاهر المعطار قد خلع من حلله وحُلاه على الأشخاص والأشياء ، فالجو عطر والمنظر سحر والأزياء وشى والنساء وُرود والرجال أشواك والأحاديث أغاريد ، فلا أستطيع لشيوع الجمال وعموم الحسن أن أعرف صورة من صورة ، ولا أن أميز زهرة من زهرة !

لو كنت حديد البصر لنفضتُ المكان من بعيد ، فعرفت على أى منضدة تنام (الرسالة) ، وفى أى كرسى تقعد الفتاة ؛ ولكن البصر كليل والمساء مقبل ، فلا مناص من الجولان المتهم بالفضول ، ولابد من النظر القريب من اللمس . على أنى توخيت المناضد المفردة فجعلت وجهى إليها وأنظرى عليها ، أخط غير قليل حتى رأيت منضدة صغيرة عليها بدان رقيقة تقلبان (الرسالة) ، فكنت فى خروجى برؤيتها من ربكة الملء وحيرة النظر أشبه بالزورق العائم فى ظلام المحيط أبصر فى المر ومض المنارة ، أو بالسائر التائه فى مجاهل القفر سمع فى الوا نبض الحياة .

أقبلت عليها فاستقبلتنى واقفة كما يستقبل النساء الرجال الريف ، ومدت يدها إلىّ فتصافحنا باسمين ، وجلسنا متقابلين وكلانا يصعّد النظر فى الآخر ويصوبه ، ويوازن فى نفسه بـ ما تصوره فى الخيال بذهنه ، وبين ما رآه فى الحقيقة بعينه أما هى فلم أدر ماذا كنت فى خاطرها من قبل ، وماذا أنا ناظرها الآن . وربما حلى العُجب المضمر فى كل نفس أن أسأ عن ذلك فى مؤتنف الأحاديث . وأما أنا فقد كنت موزّع النفـ والحس بين صورتين تختلفان فى الذات كل الاختلاف ، وتتشابه فى المعنى بعض التشـابه : فتاة العزبة فى نفسى كزنبقة الرو المطلولة ، بضة الجسم ، لدنة القوام ، مطهمة الوجه ، قد نضر وجنتيها النعمة ، وغلّظت شفتيها اللذة ، وسوّت خَلقها الطبيعة وفتاة (جروبى) فى حسى نُوارة من نُوار الفول أبطأ عن حة الغيث ؛ فهى رقيقة البدن ، مخروطة الوجه ، دعجاء العين ، قا اللحظ ، طويلة الأنف ، ظمياء الشفة ، حلوة الافتراز ، هوا أكبر من جسمها ، وقلبها أجرأ من لسانها ، وخبرها أضخم م عيانها ؛ ولكنها على الجملة وضيئة الطلعة ، مليحة القسمات

لطيفة الروح ، تحمل الرجل بصباحة وجهها وصراحة قلبها على أن يأنس بها إذا حضرت ، وأن يفكر فيها إذا غابت .

قلت لها بعد التحيات المنوعة والترحيب المكرر والأسئلة المتادة : لقد انقطعت رسائلك عني منذ شهر فلم أعرف الأسباب التي أقدمتك إلى القاهرة ؛ وما أحسبني أعلم أن لك هنا أقارب تصلين رحمهم بالزيارة ، وتمتحنين كرمهم بالضيافة . فهلك قدمت مع أخيك أو بعض أهلك لغرض من الأغراض الخاصة أرجو ألا يكون من بينها المرض . فقالت الفتاة وقد أرسلت نفسها على سجيتها بعد احتشام من اللقاء الأول لم يدم طويلاً : ليس بجسمي والحمد لله ما أشكوه ؛ ولنا في هذه المنيرة منزل موروث تقيم فيه أختي الكبرى وزوجها وابنتاها ، فأنا نازلة عليها به ، ومطمئنة إلى حياتي فيه . وأما سبب قدومي فله حديث عرفت بعضه وغاب عنك بعضه ، ولو كنت مطلقة اليد لما انقطعت رسائلي عنك ، ولا التبست أموري عليك . ذكرت لك في رسالتي الأخيرة — لو تتذكر — ما كان بيني وبين ابن البستاني ، وكيف استرقت زوجة أخي هذا السر من أفواه الخدم وأفشته إلى زوجها ، وما أعقب ذلك من الضرب المبرح ، والحجاب الكثيف ، والمراقبة الشديدة . وكنت أظن أن لذلك العقاب حداً يقف عنده ووقتاً ينتهي فيه ؛ ولكن العذاب اشتد وامتد حتى ضاق مكاني في البيت ، وساء مقامي في الأسرة ؛ فأخي يعاملني بقسوة ، وزوجته تكلمني بجفوة ، وخادماته القرويات ينظرن إليّ بازدراء . ومما سوّد نهاري وأطال ليلي أن أخي صادر بريدي فحرمني أن أقرأ ما أحب ، وأن أكتب إلى من أريد ، فأصبحت كسجينة الزنزانة محرومة من اعتبار النفس واستشعار الأنس واستحضار الوجود .

كان لا بد للإناء أن يطفح ، وللجلد أن يهي ، وللصبر أن ينفد ، فرطنت نفسي على الفرار إلى القاهرة . ولكن كيف الفرار وليس في يدي مال ولا في قدرتي مشى ولا في أسرتي مساعد ؟ الأمر سهل بين العزبة والقرية مسافة قصيرة وسكة معبدة ، وبين أخي وعمدتها صداقة وثيقة ومعاملة متصلة . وهو يعرفني منذ أن كنت طفلة ، ويسأل عني كلما زار الأسرة ؛ فإذا ذهبت إليه وطلبت منه باسم أخي بعض المال فما أظنه يمتنع أو يتلكأ أو يستريب على أن معي خواتمي وأساوري فأستطيع أن أستعين ببعضها إذا حبلت هذه الحطة . وفي تباشير الصبح قبل أن يتيقظ البيت ويسرح الفلاحون وضعت ألزم أشيائي وأخفها في حقيبة صغيرة ، ثم تسللت إلى الطريق الذاهب إلى القرية ، وكانت الأرض قد طلّها الندى ، والنبات قد كلله الحباب ، والطبيعة الراقدة تحت جنح الليل قد أخذت تستفيق وتنتعش وتتحرك ؛ فالطير تصدح بأغاريد الصباح ، والشجر يتجه بالتحيات إلى الشمس ، وآحاد من الفلاحين المبكرين يتقلون كالأشباح خطاهم الوئيدة على ضفاف القنوات وحواشي الزروع ، وأنا في هذه الصحوة الجميلة أسير بين حقول القمح خائفة مسرعة ، أترقب كل أمر ، وأتأهب لكل طارئ ، وأعدّ لكل سؤال جواباً ، ولكل تصرف علة . وستر الله عليّ حتى بلغت القرية وطرقت باب العمدة ، فتلقاني أهله بوجوه منطلقة وصدور رحبة ، ثم قدموا إليّ الفطور فأكلت منه ما ينال المجلان القلق . ثم دخلت على العمدة في غرفته وقلت له : إن أخي غائب في المدينة ، وقد أبرقت أختي إليّ تنبئني أن ابنتها في نزاع الروح وأنها في حاجة إليّ ، فلا بد من سفري في قطار الصباح وليس معي نقود فما كان جواب الرجل إلا أن قدم إليّ عشرة جنيهات وأمر الخوذي أن يهيئ لي العربة .

دخلت القاهرة عشية يوم الأحد الماضي ، وكان حالي وأنا أسير في زحمة الخارجين من المحطة حال الهارب من السجن ، يتوهم في كل مكان جاسوساً يسمعه ، وفي كل طريق شرطياً يتبعه . فلم تكد عيني تقع على سيارة عامة بجانب الإفريز حتى دخلت فيها وقلت للسائق : المنيرة ، شارع كذا ، رقم كذا . وما هي إلا عشر دقائق حتى وقفت السيارة أمام البيت ، فصعدت الدرج ، وغمزت الجرس ، فأسرعت أختي في لهفة إلى باب الشقة وفتحته وهي ترتجف ، وعانقتني وهي تنتحب ! وكان مبعث ذلك كله أن أخي أرسل برقية إلى زوج أختي يعلن إليه هربي ، ويلح عليه في طلبي ، فساورت أختي الهموم ، وتنازعتها الظنون ، وعللت هذا الهرب بما أقاسيه في العزبة من العدوان المستمر ، والحرمان المتصل ؛ لأن أخي لا يهتم بها فهي تسيء به الظن ، ولأن امرأته لا تخف على قلبها فهي تعتقد فيها الظلم ! وقويت أنا في نفسها هذا التعليل بما افتريت من الأكاذيب واختلقت من المظالم . فكتبت أختي إلى أخي تسترضيه عني وتسأله أن يأذن لي في البقاء معها أياماً لتجلو عن جسمي هذا المرض ، وتكشف عن نفسي هذا الهم . ولكنني قطعت العزم على أن أموت هنا ولا أعيش هناك ، وأن أخسر رضا الناس أجمعين إذا كسبت رضاك ...

(للقصة بقية) أحمد حسن الزيات